القرم من الماضي إلى المستقبل: المشكلات والحلول

Crimea from the Past to the Future: Problems and Solutions

Author: Filiz Tutku Aydın Bezikoğlu	تحرير: فيليز توتكو آيدين بيزيك أوغلو
Publisher: SETA, İstanbul 2022	الناشر: سيتا، إسطنبول، 2022 م
Reviewed by: Zeynep Rana Kantepe	مراجعة: زينب رنا كانتبه
Pages: 302	عدد الصفحات: 302

صدر كتاب «القرم من الماضي إلى المستقبل: المشكلات والحلول» مؤخرًا عن مركز سيتا. يسلّط الكتاب الضوء على مسيرة قضية شبه جزيرة القرم التي تزايدت أهميتها بسبب الحرب الروسية الأوكرانية، كما يوضّح المشكلات التي واجهت تتار القرم عبر التاريخ.

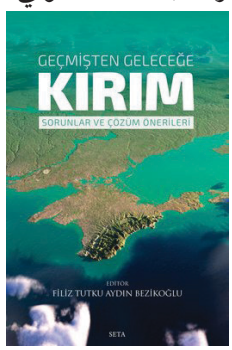

يستهدف الكتاب تحليل الاحتلال الروسي لشبه جزيرة القرم في 27 فبراير 2014 وضمه غير القانوني إلى روسيا في 18 مارس 2014 من منظور واسع، حيث يتناول مجموعةٌ من الباحثين القضية من ناحية سياسية واجتماعية وثقافية، وذلك بتحرير الدكتورة فيليز توتكو آيدين بيزيك أوغلو. يقع الكتاب في 302 صفحة، وينقسم إلى جزئين: يركّز الجزء الأول تحت عنوان «تتار القرم من الماضي إلى الحاضر» على وضع تتار القرم بتوضيح نضالهم السياسي، والسياسة الخارجية الروسية في شبه الجزيرة، بينما يتناول الجزء الثاني بعنوان «ضم روسيا القرم: الأسباب والنتائج» ضم القرم غير القانوني في سياق السياسة الخارجية لأوكرانيا وتركيا وروسيا، والعلاقات الدولية، والقانون الدولي، والأمن، والطاقة، والاقتصاد، وحقوق الإنسان، وحقوق الاستقلال الذاتي لشعب القرم، والتواصل السياسي وإستراتيجيات وسائل الإعلام.

يبدأ الجزء الأول بفصل للمحررة تحت عنوان «جذور قضية القرم ومعناها». تتناول المحررة النقاط الرئيسة لتاريخ القرم بذكر الأحداث السياسية والاجتماعية المؤثرة في الوطن والشعب، مثل الضم الروسي في 1783، والهجرة القسرية بين عامَي 1859-1861 إلى الدولة العثمانية، حيث تعرض تتار القرم لإبادة ثقافية إلى جانب النفي من القرم في 1944. ولا شكّ أن هناك بعض الأسباب الرئيسة لضم القرم، مثل رغبة روسيا في التحكم بمسارات الطاقة، وعجزها عن تعريف هويتها بعد استعمارها، وأهمية القرم من

DOI:10.36360/1560-011-003-011

جهة تاريخية وثقافية. وللقضية نتائج مهمة سواء كان على المستوى الإقليمي أم العالمي، مثل منع التطور الاقتصادي لشعب القرم، وانتهاكات حقوق الإنسان كالاختطاف والاعتقال والتعذيب في السجون والنفي ومنع الدخول للقرم. وقد تأثّر اقتصاد القرم سلبيًّا بسبب العقوبات الاقتصادية على روسيا وشبه الجزيرة. وعلى الرغم من التأثيرات الاقتصادية الوخيمة في أوكرانيا فإن اقتصادها لم ينهر كما تصورت روسيا، بسبب علاقات أوكرانيا الاقتصادية والمساعدات التي حصلت عليها من الدول الغربية. تذكر المحررة أن تركيا تأثرت من الضم غير القانوني للقرم بسبب أهمية القرم الجيوسياسية، وتقدم اقتراحات لدول العالم ولتركيا، مثل توخي الحذر بشأن التسلح النووي المحتمل في المنطقة من القرم إلى نوفوروسيسك، وأداء دور أكثر نشاطًا في منصة القرم.

يبيّن الفصل الثاني من الجزء الأول موقف التتار من الضم غير القانوني، وذلك بذكر خطابات مصطفى عبد الجميل قرم أوغلو، وهو رئيس الجمعية الوطنية لتتار القرم. ويُذكَر أن المؤتمر العالمي لتتار القرم عقد أول مرة بمدينة سيمفيروبول في 22-19 مايو 2009 بعد مسيرة لإحياء الذكرى الخامسة والستين لنفي عام 1944. وقد جرى عقد المؤتمر الثاني في 31 تموز 2015. ووضّح قرم أوغلو فيه حالة التتار بعد الاحتلال وتطلعاتهم من أوكرانيا والدول المسلمة. وفي خطابه في 21 أغسطس 2021 بمنصة القرم قيّم قرم أوغلو الأحداث في عملية الضم غير القانوني والوضعية الحالية المؤسفة للتتار كما عبّر عن توقعاتهم وتمنياتهم من العالم.

وفي الفصل الثالث من الجزء الأول يتطرق الكتاب إلى عملية نفي تتار القرم ونضالهم من أجل العودة؛ حيث إن الاتحاد السوفييتي قرّر نفي التتار من القرم بتهمة التعاون مع الألمان في مايو 1944، بعد انتصار وحدات الجيش الأحمر في المنطقة على ألمانيا. وقد تعرّض التتار طوال النفي لمعاملات غير إنسانية، ومحو آثار الثقافة التركية من المنطقة، إذ جرى استبدال الأسماء الروسية للأماكن بالأسماء التركية بعد النفي. ولم يحظ التتار بحق العودة مثل الأمم الأخرى في المنفى بعد وصول خروتشوف إلى السلطة. وفي المحصلة، بدأ التتار، الذين يناضلون من أجل العودة منذ عام 1944، بالعودة إلى وطنهم بأعداد كبيرة، وإن كان ذلك متأخرًا.

أما الجزء الثاني؛ فيدرس أسباب ونتائج ضم روسيا للقرم، ويبدأ بفصل «سياسة روسيا في القرم من الناحية الجيوسياسية والهوية والتاريخ». يبيّن الفصل العناصر الرئيسة لإستراتيجية الاحتلال بأنها تحويل القرم إلى قاعدة عسكرية، وتغيير التركيبة السكانية، وإنتاج المشروعات الصناعية على نطاق واسع، وتطوير نهج إستراتيجي ضد الإسلام في القرم، ومكافحة مشكلة الموارد المائية غير الكافية، وتطوير مصطلح تافريدا (الاسم القديم للقرم)، وصنع السياسات الدولية للاعتراف بالقرم.

يتناول الفصل الثاني من الجزء الثاني احتلال القرم وتهديد ضمه غير الشرعي للوجود القومي للتتار. حيث انتهجت روسيا سياسات مختلفة لتفريغ القرم من التتار بتحييد الجمعية الوطنية لتتار القرم، وتوجيه الاتهامات لها بالتطرف والارتباط

بحزب الله ، وتعيين مفتي تافريا ضد مفتي القرم ، وإجبار تتار القرم على الهجرة ، وإحلال الروس محلهم ، ومحاولة تدمير ثقافة تتار القرم . ويتطرق الكاتب لانتهاكات حقوق الإنسان ، كما يقدم التنبؤات ، مثل احتمال حدوث صراعات شديدة في المستقبل ، واختفاء العناصر الأساسية التي يتكون منها الوجود القومي لتتار القرم ، مثل اللغة والثقافة والهوية .

يحمل الفصل الثالث من الكتاب عنوان «نضال وعمل الحركة الوطنية لتتار القرم ضد احتلال القرم» : وهو يتناول تأسيس الحركة الوطنية لتتار القرم التي تُعَدّ الجهاز التمثيلي لتتار القرم ، والمؤتمرات التي عقدوها والتطورات في الثورة الأوكرانية في 2014 ، وأنشطة الحركة الوطنية لتتار القرم في أثناء الاحتلال . كما يؤكّد أن الهدف التكتيكي لمنصة القرم هو وضع قضية القرم في مركز اهتمام المجتمع الدولي ، وتأكيد أنّ تتار القرم يدعمون مسار أوكرانيا الموالي لأوروبا ، ويوضّح دور حركة تتار القرم الوطنية في حل القضية من خلال الدبلوماسية بسبب القوة العسكرية غير الكافية لأوكرانيا ضد روسيا .

الفصل الرابع من الجزء الثاني يدرس جرائم حقوق الإنسان ، ووضع شبه جزيرة القرم بعد الاحتلال من منظور القانون الدولي ، إذ يُعَدّ هذا الاحتلال «جريمة دولية» حرفيًّا . يشرح الكاتب ما جرى من إغلاق للجمعية الوطنية لتتار القرم ، ومصادرة ممتلكاتها بعد الاحتلال ، ونفي العديد من النشطاء والمثقفين ، منهم مصطفى عبد الجميل قرم أوغلو ، وحظر وسائل الإعلام ووكالات الأنباء ، والضغوط على أتباع الأديان ومنهم المسيحيون الأرثوذكس من خلال الضغوطات على ممتلكات الكنائس ، وعدد جرائم القتل التي لم تُحل ، والانتهاكات الاجتماعية والاقتصادية ، ووباء فيروس كورونا وآثاره في المنطقة ، ويؤكد أنه من الضروري وضع تدابير وآليات لمكافحة الجرائم ضد الإنسانية .

أما الفصل الخامس فيتناول الاحتلال والضم غير القانوني من جهة الاقتصاد والطاقة ؛ فالقرم هو بوابة روسيا إلى أوروبا ، وقد زاد جسر القرم من أهمية موقع المنطقة بالنسبة إلى روسيا ، كما أنه مهمّ بالنسبة إلى أوكرانيا . ويذكر الكاتب العقوبات المفروضة على روسيا بعد الاحتلال ، مثل منع الوصول إلى أسواق رأس المال ، وحظر بيع الأسلحة ، وفرض قيود على المعدات التكنولوجية التي تشتريها روسيا من دول الاتحاد الأوروبي للنفط والغاز الطبيعي ، كما يبيّن خسارة الأراضي والمصادر الطبيعية ورأس المال لأوكرانيا التي تبلغ 7٪ بعد الضم غير القانوني ، كما يقدم الاقتراحات مثل ألا تنسى تركيا أن بإمكان روسيا تحويل خط أنابيب «ترك ستريم» إلى عنصر من عناصر الضغط السياسي والاقتصادي على روسيا ، وأن عليها تنويع مصادر الطاقة ، مثل الاتحاد الأوروبي .

يناقش الفصل السادس احتلال القرم من المنظور الأمني بذكر التدابيرالعسكرية في المنطقة . ويسرد الكاتب العناصر الثلاثة في إسباغ الطابع الأمني على قضية القرم على النحو الآتي : حق شبه جزيرة القرم في تقرير المصير ، والادعاء بأن ثورة يوروميدان في أوكرانيا تشكل تهديدًا لروسيا ، وإسباغ الشرعية على الحاجة إلى اتخاذ تدابير استثنائية من قبل مجموعات غير عادية من

أجل كسب دعم الجمهور الروسي، بينما يبين تهديد الاحتلال على المناطق الأخرى مثل البلقان والقوقاز وأوروبا الشرقية فيما يتعلق بأمن البحر الأسود. ويذكر الكاتب بعض التوصيات، مثل الضغط الدولي على إدارة الكرملين بشأن الأمن، والإبلاغ المنتظم عن حالة حقوق الإنسان في شبه جزيرة القرم الخاصة بالتتار.

يتناول الفصل السابع احتلال القرم من منظور الإعلام والدعاية، إذ بدأ القرم يتعرض للدعاية الروسية قبل الاحتلال، وقد سهّل هذا الوضع الأمر بالنسبة لروسيا عندما قرّرت الاحتلال في عام 2014. وفي أثناء الاحتلال، كانت قضية رفع الرواتب ووعود الحماية لجميع رجال الأعمال في شبه جزيرة القرم من أهم الحجج في الدعاية. وفي 2015 بدأت روسيا بإغلاق القنوات ووكالات الأنباء ولم تكن المحاولات الفردية ضد الدعاية الروسية مفيدة. لذلك يؤكد الكاتب أهمية زيادة التحالف ضدها.

أما الفصل الثامن؛ فيسلّط الضوء على سياسة تركيا في البحر الأسود في سياق ضم القرم غير القانوني. إذ يُعَدّ البحر الأسود النقطة المحورية للصراعات بين روسيا وحلف شمال الأطلسي، كما كان خلال فترة الحرب الباردة. ويشير المؤلف إلى العلاقات التي طورتها تركيا مع الجهات الفاعلة في المنطقة مثل أوكرانيا وجورجيا، وفي سياق منظمة التعاون الاقتصادي للبحر الأسود ومجموعة عمل التعاون البحري للبحر الأسود، كما يشير إلى أن هياكل التحالف في المنطقة فقط هي التي يمكنها الرد على التحركات العدوانية لروسيا.

يتناول الجزء التاسع والأخير سياسة أوكرانيا تجاه شبه جزيرة القرم وتتار القرم. ويتضمن القوانين والمراسيم التي اعتمدتها أوكرانيا لاستعادة شبه جزيرة القرم بعد الاحتلال. ومع ذلك، نظرًا لأن بعض نقاط التخطيط الإستراتيجي لأوكرانيا مغلقة أمام الجمهور (على سبيل المثال الجزء العسكري)، نشأت التوترات بين الحكومة والجمهور. ويمكن القول: إن إستراتيجية أوكرانيا لإنقاذ شبه جزيرة القرم من الاحتلال تركز على الدبلوماسية. وإنّ أكبر دعم لأوكرانيا في هذا المجال هو العقوبات العامة من دول مثل الولايات المتحدة الأمريكية ودول الاتحاد الأوروبي وكندا واليابان. ومن الواضح أن هناك بعض المشكلات في سياسة أوكرانيا تجاه سكان القرم؛ لأن المواطنين الأوكرانيين القادمين من القرم يواجهون صعوبات في التصويت في الانتخابات المحلية وإجراءات الميراث والخدمات الصحية. كان النهج الستاليني الجديد، الذي بقي من الدعاية الروسية- يمثل عقبة في طريق اندماج تتار القرم في الأمة بالقرم. ولكن تسبب التغيير في المجتمع الأوكراني بعد أحداث يوروميدان في تغيير إيجابي في وجهة نظر تتار القرم بعد الاحتلال. ونتيجة لذلك، أصبح التتار أيضًا مجموعة بارزة في الخطاب السياسي.